

المحدثون فى مصر والأزهر

من القرن الثالث حتى آخر

القرن العاشر

يعتبر المحدثون والمؤرخون القرن الثالث العصر الذهبى لتدوين الحديث النبوى ، حيث أشرقت فيه أمهات الكتب والمراجع والمسانيد والصحاح الستة التى لم تدع من صحيح الحديث سوى القدر اليسير ..

فإذا ما جاء القرن الذى يليه ونهض فيه الأزهر الشريف ، وأشرق بحلقاته وأروقته ، واستقبل طلاب الحديث والعلم من سائر انحاء العالم الاسلامى، كان لهذه المراحل أهميتها الكبرى فى اثراء الحياة الاسلامية بالمصنفات ، وكان طبيعيا أن تضطلع مصر بدور مذكور مشكور فى مضمار تدوين السنة وحفظها وأحيائها ونهضتها ، خاصة إذا علمنا عراققتها فى هذا المجال من لدن عصر

الصحابة الذين نزلوا فيها ونشروا الحديث والعلم فى كل أرجائها ، وإذا علمنا أيضا بنهضة الأزهر الكبرى التى أشرقت على العالم بأسره نشرا للإسلام والحديث وسائر العلوم .

ومن أعلام المحدثين فى هذا العهد

الامام النسائى

نسبه ونشأته :

هو (١) أبو عبد الرحمن أحمد بن على بن شعيب بن على بن بحر النسائى الحافظ ، صاحب السنن الصغرى والكبرى .

ولد بنساء - من بلاد خراسان - سنة خمس عشرة ومائتين ، وقيل أربع عشرة ومائتين ونشأ محبا للعلم ، فطوف بكثير من الأقطار الاسلامية ، ورحل الى قتيبة وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقال : أقمت عنده سنة وشهرين ، واستطاع بجهوده المخلصة للعلم ، وبما منحه الله تعالى من مواهب فطرية أن يحتل مكانة سامية فى الحفظ والضبط والاتقان والدقة العالية ، والتحزى الشديد حتى قال فيه أبو على الحافظ النيسابورى : للنسائى شرط فى الرجال أشد من شرط مسلم .

وجمع النسائى بين العلم والعمل ، فكان يجتهد فى العبادة ليلا ونهارا ويكثر من العبادة حتى قيل : أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ، كما كان مواظبا على الحج والجهاد شجاعا متمرسا على أساليب الحرب ، خرج مع أمير مصر غازيا ، فوصفوا من شهامته وشجاعته وأقامته السنن المأثورة فى فداء المسلمين واجترازه من مجالس الأمير الذى معه الشيء الكثير الذى يشهد بمكانته وعظمته .

واستوطن النسائى مصر ، وأقام بزقاق القناديل ، قال الحاكم : كان النسائى أفقه مشايخ مصر فى عصره ، وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار ، وأعرفهم بالرجال .

(١) السنة علومها د. أحمد عمر هاشم .

حياته العلمية

كان النسائي محبا للعلم والعلماء شغوفاً بالمعرفة والتحصيل ، وما أن بلغ الخامسة عشر إلا ورحل الى العلماء فى بلاد كثيرة ، فرحل الى قتيبة بن سعيد البلخى ، ومكث عنده سنة وشهرين وأخذ عنه الحديث وشارك فى السماع منه أئمة الحديث كالبخارى ومسلم وأبى داود ورحل الى الحجاز والعراق والشام ومصر والجزيرة ، وضم ماسمعه من علماء بلده الى ماسمعه من علماء هذه الأمصار ، فجمع ثروة علمية هائلة وبرع فى الحديث حتى قيل أنه أحفظ من مسلم بن الحجاج وقدم مصر ، وطاب له المقام بها فأقام طويلا ، وظل يمارس نشاطه العلمى بها ، وأخذ عنه الناس ثم خرج من مصر قبيل وفاته سنة ٣٠٢ ، وتوجه الى دمشق .

شيوخه وتلاميذه :

ومن شيوخه الذين تلقى عنهم ونهل من مواردهم : قتيبة بن سعيد واسحق بن ابراهيم بن راهويه ، وحמיד بن مسعدة ، وعلى بن خشرم ، ومحمد بن عبد الأعلى ، والحارث بن مسكين ، وهناد بن السرى ، ومحمد بن بشار ، وحمود بن غيلان ، وأبو داود السجستانى والترمذى صاحب الجامع ، وهشام بن عمار ، ومحمد بن النظر المروزى ، وأبو كريب ، وسوريد بن نصر .

ومن تلاميذه : الذين أخذوا عنه الحديث وتلقوا منه : أبو يسر الدولابى وأبو القاسم الطبرانى صاحب المعاجم الثلاثة ، وأبو جعفر الطحاوى ، ومحمد بن هارون بن شعيب ، وأبو الميمون بن راشد ، وابراهيم بن محمد بن صالح بن سنان ، وأبو على الحسين بن محمد النيسابوى ، وحزمة الكنانى ، وأبو بكر أحمد بن اسحاق السنى الحافظ ، وهو راوية السنن وغيرهم (١) وكان الامام النسائى الى جانب مكانته العلمية فى السنة وعلومها فقيها ، ظاهر الاجتهاد ومما يدل على خبرته وعمقه فى هذا الجانب انتقاؤه للتراجم ومختاراته من الأحاديث حتى قال فيه الدارقطنى : (كان أفقه مشايخ عصره فى مصر . وأعلمهم بالحديث والرجال) وقال الحاكم أبو عبدالله : أما كلام أبى عبدالرحمن على فقه الحديث فأكثر من أن نذكر ، ومن نظر فى كتابه (السنن) تحير فى حسن كلامه .

ومن مؤلفاته :

١ - السنن الكبرى

(١) «تذكرة الحفاظ» ج ٢ ص ٢٤

٢ - السنن الصغرى المسماه « المجتبى »

٣ - الخصائص

٤ - فضائل الصحابة

٥ - المناسك

واتهم النسائي بالتشيع ، وربما كان أساس هذا الاتهام أنه ألف كتاب الخصائص فى فضل على وآل البيت .

وأرى أن النسائي براء من هذه التهمة ، اما الباعث له على تأليف كتاب الخصائص فهو ما ذكره فى اجابته على بعض السائلين ، فقد قيل له : كيف تركت تصنيف فضائل الشيخين ؟ فقال : « دخلت الى دمشق . والمنحرف عن على رضى الله عنه كثير فصنفت كتاب الخصائص رجاء أن يهديهم الله تعالى » ثم صنف بعد ذلك فضائل الصحابة رضى الله عنهم (١) .

وقال محمد بن اسحاق الأصبهاني : سمعت مشايخنا بمصر يقولون : أن أبا عبد الرحمن فارق مصر فى آخر عمره ، وخرج الى دمشق ، فسئل عن معاوية وما روى من فضائله فقال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأسا برأس حتى يفضل ؟ وفى رواية أخرى : ما أعرف له فضيلة ، ولعلمهم كانوا يرغبون أن يؤلف فى فضائل معاوية ، فلما كان جوابه هكذا كان ذلك سببا فيما لاقاه من محنة ، وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : لما امتحن النسائي بدمشق قال : احملونى الى مكة ، فحمل إليها ، فتوفى بها .

وقد شهد للنسائي كثير من العلماء بالثقة والحفظ وعرفوا له مكانته العلمية قال الدارقطني : كان أبو بكر بن الحداد الفقيه كثير الحديث ، ولم يحدث عن أحد غير أبى عبد الرحمن النسائي فقط ، قال : رضيت به حجة بينى وبين الله تعالى (٢)

وقال ابن خلكان : توفى يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاثمائة بمكة حرسها الله تعالى .

(١) طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي - ٣ ص ١٥ .

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر - ١ ص ١٣٨ .

وقيل : توفي بالرملة من أرض فلسطين .

والراجح انه توفي بالرملة - بلدة بفلسطين ، وصوب الذهبى هذا الرأى ، وجزم به ابن يونس وممن قال بوفاته بفلسطين : أبو جعفر الطحاوى وأبو بكر بن نقطة رحمهم الله (١) .

وبعد هذه الجولة الطيبة فى حياة هذا الامام الجليل نرى انها قد ألفت أضواء مشرقة على أهم مناحى العظمة فى حياته العلمية ، وكتابه « المجتبى » قد اختصره من كتابه « السنن الكبرى » و« المجتبى » كله صحيح عنده ودرجته بعد الصحيحين وهو مقدم على سنن أبى داود ، وسنن الترمذى وسنن ابن ماجه ، لأنه أقل منها حديثاً ضعيفاً ورجلاً مجروحاً ، وعدة أحاديث المجتبى ٥٧٦١ حديثاً .